

مَعْرِفَةُ الْمَسِيحِ: أَقْوَالُ يَسُوعَ عَنِ ذَاتِهِ

المحاضرة ٧: الكرممة الحقيقية

أ.ر. سي. سرول

نُتَابِعُ الْآنَ دِرَاسَتَنَا لِسُلْسِلَةِ الْأَقْوَالِ "أَنَا هُوَ"، الَّتِي أَعْلَنَهَا يَسُوعُ خِلَالَ خِدْمَتِهِ الْأَرْضِيَّةِ. وَنَذْكُرُ أَنَّ هَذِهِ الْإِعْلَانَاتِ "أَنَا هُوَ" تَبْدَأُ كُلُّهَا بِالْعِبَارَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْاسْتِثْنَائِيَّةِ "إِيْجُو إِيْمِي"، وَهِيَ مَجْمُوعَةُ الْكَلِمَاتِ نَفْسَهَا الَّتِي تَمَّ اسْتِعْمَالُهَا فِي التَّرْجُمَةِ الْيُونَانِيَّةِ لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ لِاسْمِ اللَّهِ الْمُقَدَّسِ "يَهْوَه"، "أَهِيهِ الَّذِي أَهِيَهُ". لِهَذَا السَّبَبِ، نَتَكَلَّمُ عَنِ أَهْمِيَّةِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْإِنْجِيلِ يُوحَنَّا.

وَالْيَوْمَ، نَصِلُ إِلَى الْأَصْحَاحِ ١٥ مِنْ الْإِنْجِيلِ يُوحَنَّا، حَيْثُ نَحْدُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذِهِ السُّلْسِلَةِ الْإِعْلَانِ الَّذِي قَالَ فِيهِ يَسُوعُ "أَنَا الْكِرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ". إِذَا، فَلْتَرْجِعْ إِلَى النَّصِّ قَلِيلًا. قَالَ يَسُوعُ فِي الْآيَةِ ١:

أَنَا الْكِرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكِرَامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنْقِيهِ لِئَاتِي بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمْ الْآنَ أَنْفِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ. أَنْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ دَاتِهِ إِنْ لَمْ يَنْبُتْ فِي الْكِرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَنْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكِرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ. الَّذِي يَنْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لِأَنَّكُمْ بَدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.

ثُمَّ يَتَابِعُ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ. لَكِنْ لَاحِظُوا أَنَّهُ قَالَ فِي الْآيَةِ ٥ "أَنَا الْكِرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ". هَذَا مُخْتَلِفٌ قَلِيلًا عَمَّا يَقُولُهُ فِي الْآيَةِ ١، حَيْثُ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ الْكِرْمَةَ فَحَسْبُ، لَكِنَّهُ قَالَ "أَنَا الْكِرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكِرَامُ". إِذَا، يَجْرِي أَمْرَانِ هُنَا فِي هَذَا الْإِعْلَانِ الْبَالِغِ الْأَهْمِيَّةِ. الثَّانِي مُرْتَبِطٌ بِإِثْمَانِنَا كَمُؤْمِنِينَ، أَيْ بِحَمْلِ الثَّمَرِ الَّذِي دَعَانَا اللَّهُ لِحَمْلِهِ بِفَضْلِ بَقَائِنَا عَلَى ارْتِبَاطِ وَثِيْقِ الْمَسِيحِ مِثْلَمَا تَرْتَبِطُ الْأَغْصَانُ بِالْكِرْمَةِ. هَذَا غُنْصُرٌ مُهِمٌّ جِدًّا فِي هَذَا النَّصِّ الَّذِي سَنَنْتَرَقُّ إِلَيْهِ بَعْدَ قَلِيلٍ. لَكِنَّ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنَ النَّصِّ الَّذِي يَتِمُّ التَّعَاظِي عَنْهُ غَالِبًا، هُوَ الْعِبَارَةُ الْأُولَى الَّتِي أَعْلَنَهَا يَسُوعُ قَائِلًا "أَنَا الْكِرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ".

عَادَةً، عِنْدَمَا يُعْلِنُ أَحَدُهُمْ أَمْرًا مُمَازِلًا فَهُوَ يُعْلِنُ كَلَامًا يَتَنَاقَضُ تَمَامًا مَعَ أَمْرٍ آخَرَ. وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ، إِنَّهَا الْكِرْمَةُ الْمُرْتَبِطَةُ أَوْ الْكِرْمَةُ الْفَاسِدَةُ. وَبِالتَّأَكِيدِ، أَدْرِكُ الْمُسْتَمْعُونَ إِلَى يَسُوعَ مَا أَرَادَ الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ حِينَ دَعَا نَفْسَهُ الْكِرْمَةَ الْحَقِيقِيَّةَ، لِأَنَّ اسْتِعَارَةَ الْكِرْمَةِ لَمْ تَكُنْ أَمْرًا جَدِيدًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَامِعِيهِ وَلَا جَدِيدَةً عَلَى آذَانِ الْيَهُودِ،

لأنّها استعارةٌ مهمّةٌ تمّ استعمالها في العهد القديم لوصف العلاقة بين الله وإسرائيل وبين الله وشعبه، حيث كان الله الكرام وإسرائيل الكرمّة.

لكنّ فلنلق نظرةً وحيدةً على بعض إشارات العهد القديم إلى تلك العلاقة بين الله وإسرائيل. في المزمور ٨٠، دعويني أظليكم على خلفيّة استعمال هذه الاستعارة. أولاً، يبدأ المزمور ٨٠ بهذه الكلمات "يا راعي إسرائيل، اصع". أليس من اللافت أنّ كاتب المزمور يشير إلى الله على أنّه الراعي مثلما سمى يسوع نفسه الراعي الصالح. قال: "يا قائد يوسف كالضأن، يا جالساً على الكرّوبيم"، هذه إشارة إلى تايوت العهد المزيّن بالكرّوبيم من الجهتين، "أشرق. فدام أفرام وبنيامين ومنسى أيقظ جبروتك، وهلمّ لحلاصنا. يا الله أرجعنا، وأنز بوجهك فنخلص. يا ربّ إله الجنود، إلى متى تدخن على صلاة شعبيك؟ قد أطمعتهم خبز الدُموع، وسقيتهم الدُموع بالكيل. جعلتنا نزاعاً عند حيراننا وأعداؤنا يستهزئون بين أنفسهم". في هذه المرحلة، يقول كاتب المزمور بالبراءة. إنه يبكي أمام الله لأنّ شعب إسرائيل يختبر غضب الله ودينوته على الأمة، ويقول: "لقد سقيتنا الدُموع، وجوهنا غارقةٌ بالدُموع لأنّ يدك نقلت علينا. إلى متى يا ربّ، تحجب نورك عنّا وتبقي بعيداً عنّا؟ رجاء، أرتنا نور وجهك مجدداً. أشرق بنور وجهك علينا فنخلص".

ثمّ يكرّر الكلام نفسه في الآية ٧. "يا إله الجنود أرجعنا، وأنز بوجهك فنخلص". في الآية ٨ تظهر الاستعارة التي تهمتنا، حيث يقول صاحب المزمور "كرمةٌ من مصر نقلت. طردت أمماً وعرستها. هيأت قدامها فأصلت أصولها فملاّت الأرض". أترون الصورة التي ترجع إلى سفر الخروج؟ أتيت بشعبك الذي يشير إليه صاحب المزمور الآن على أنّه الكرمّة. أخرج الله هذه الكرمّة من مصر وأعدّ مكاناً، أرض الموعد، مع مُتسع من المكان يكفي لزرع الكرمّة ولعرسها بعمق، فيكون لديها مكانٌ لتمدّد، فتنتشر الكرمّة في جميع أنحاء الأرض المقدّسة.

"هيأت قدامها فأصلت أصولها فملاّت الأرض. عطى الجبال ظلّها، وأغصانها أزرّ الله. مدّت قضبانها إلى البحر، وإلى التهر فروعها. فلماذا هدمت جذراتها فيقطفها كلّ غابري الطريق؟ يفسدها الخنزير من الوعر، ويرعاها وحش البرية!" الآن، يقول صاحب المزمور لله: "أنت هو من عرس هذه الكرمّة. أنت هو الكرام، لكنك ابتعدت عن تلك الكرمّة الآن. لم تعد تهتمّ بالكرمّة ولست تحميها. الأمم كلّها تهاجمها الآن، وووحش البرية وخنزير الوعر تأتي وتأكل ثمرها. أي أنّ أشخاصاً رديين يأتون ويسلبون إسرائيل".

يا إله الجنود، أرجعنا. اطلع من السماء وانظر وتعهّد هذه الكرمّة، والعرس الذي عرسته يمينك، والابن الذي اخترته لنفسك. هي محروقةٌ بنارٍ مقطوعةً. من انتهار وجهك يببّدون. لتكن يدك على رجل يمينك، وعلى ابن آدم الذي اخترته لنفسك، فلا ترتدّ عنك. أحيينا فندعو باسمك. يا ربّ إله الجنود، أرجعنا. أنز بوجهك فنخلص.

عِبَارَةٌ "لِتَكُنْ يَدُكَ عَلَى رَجُلٍ يَمِينِكَ، وَعَلَى ابْنِ آدَمَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِكَ" قَدْ تُشِيرُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ بِبَسَاطَةٍ إِلَى أُمَّةِ إِسْرَائِيلَ أَوْ إِلَى دَاوُدَ، أَوْ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ إِلَى الْمَسِيحِ الَّذِي يَظْهَرُ لِحَقًّا فِي التَّارِيخِ حَامِلًا لَقَبَ ابْنِ الْإِنْسَانِ. إِذَا، الطَّلَبَةُ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ هُوَ أَنْ يَرْجِعَ اللَّهُ إِلَى الْكِرْمَةِ لِيُخَلِّصَ الْكِرْمَةَ الَّتِي غَرَسَهَا.

نَحْنُ نَرَى أَنْشُودَةً مُمَاتِلَةً، أَنْشُودَةَ احْتِفَالٍ أَوْ رِثَاءٍ، فِي الْأَصْحَاحِ ٥ مِنْ سِفْرِ التَّيِّ إِشْعِيَاءَ. فَلْنُلْقِ نَظْرَةً عَلَى ذَلِكَ قَلِيلًا. يَبْدَأُ إِشْعِيَاءُ الْأَصْحَاحِ ٥ بِالآيَةِ ١ الَّتِي جَاءَ فِيهَا:

لَأُنشِدَنَّ عَنْ حَبِيبِي نَشِيدَ مُحِبِّي لِكِرْمِهِ: كَانَ لِحَبِيبِي كَرْمٌ عَلَى أَكْمَةٍ خَصْبَةٍ، فَتَقَبَهُ وَنَقَى حِجَارَتَهُ وَغَرَسَهُ كَرْمَ سَوْرَقَ، وَبَنَى بُرْجًا فِي وَسْطِهِ، وَنَقَرَ فِيهِ أَيْضًا مِعْصَرَةً، فَانْتَظَرَ أَنْ يَصْنَعَ عِنْبًا فَصَنَعَ عِنْبًا رَدِيئًا. وَالْآنَ يَا سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ وَرِجَالَ يَهُودَا، احْكُمُوا بَيْنِي وَبَيْنَ كَرْمِي. مَاذَا يَصْنَعُ أَيْضًا لِكِرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟ لِمَاذَا إِذْ انْتَظَرْتُ أَنْ يَصْنَعَ عِنْبًا، صَنَعَ عِنْبًا رَدِيئًا؟ فَالآنَ أَعْرِفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكِرْمِي: أَنْزِعُ سِيَاحَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّغِي.

وَالسِّيَاحُ يَحْمِي الْكِرْمَةَ. "أَهْدِمُ جُذْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدَّوْسِ. وَأَجْعَلُهُ خَرَابًا لَا يُقْضَبُ وَلَا يُنْقَبُ، فَيَطْلَعُ سَوْكٌ وَحَسَكٌ. وَأَوْصِي الْعَيْمَ أَنْ لَا يُمَطَّرَ عَلَيْهِ مَطْرًا. إِنَّ كَرْمَ رَبِّ الْجُنُودِ هُوَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، وَغَرَسَ لَدَيْهِ رِجَالَ يَهُودَا. فَانْتَظَرَ حَقًّا فَإِذَا سَفَكَ دَمًا، وَعَدَلًا فَإِذَا صُرَاخٌ".

إِذَا، نَرَى فِي الْمَزْمُورِ وَفِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ سِفْرِ إِشْعِيَاءَ، أَنَّ اللَّهَ يُعَبِّرُ عَنْ غَضَبِهِ عَلَى الْأُمَّةِ الَّتِي حَمَلَهَا، وَالَّتِي أَخْرَجَهَا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَالَّتِي غَرَسَهَا وَرَعَاهَا وَسَقَاهَا وَنَمَّاهَا. وَهُوَ يَتَوَقَّعُ أَنْ تَأْتِيَ بِثَمَرٍ الْآنَ. لَكِنَّهُ حَصَلَ عَلَى عِنَبٍ رَدِيءٍ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ. إِذَا، أَصْبَحَ إِسْرَائِيلُ الْكِرْمَةُ الْفَاسِدَةَ. وَالْآنَ يَأْتِي يَسُوعُ وَيَقُولُ لِمُعَاصِرِيهِ "أَنَا الْكِرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكِرَامُ". الْمُهْمُ فِي الْأَمْرِ هُوَ أَنَّ يَسُوعَ يَقُولُ إِنَّهُ هُوَ تَجْسِيدُ إِسْرَائِيلَ.

كثيرًا مَا يَتِمُّ التَّلْمِيحُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى أَحْدَاثِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الَّتِي تَمَّ تَطْيِيقُهَا عَلَى يَسُوعَ. نَذْكُرُ أَنَّهُ حِينَ وُلِدَ يَسُوعُ، وَأَرَادَ هِيرُودُسُ قَتْلَهُ، تَلَقَّى يُوْسُفَ تَحْذِيرًا فِي الْحُلْمِ، فَأَخَذَ مَرِيَمَ وَالطِّفْلَ وَهَرَبَ إِلَى مِصْرَ. وَبَعْدَ أَنْ مَاتَ هِيرُودُسُ، وَأَصْبَحَ الْمَكَانُ آمِنًا، طَلِبَ مِنْهُ أَنْ يَعُودَ بِالطِّفْلِ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَرْضِ الْمَوْعِدِ. "لِئَنِّي يَتِمُّ مَا قِيلَ: مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي" فِي إِشَارَةٍ غَامِضَةٍ جَدًّا إِلَى أَنَّ الْمَسِيحَ الطِّفْلَ سَيُصْبِحُ تَجْسِيدًا لِكُلِّ مَا يَجْرِي فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِأُمَّةِ إِسْرَائِيلَ. إِنَّهُ يُمَثِّلُ شَعْبَهُ بِأَمْتِيَّازٍ بِصِفَتِهِ الْمَسِيحِ، لِذَرَجَةِ أَنَّهُ فِعْلًا إِسْرَائِيلُ.

كَمَا عِنْدَمَا يَسْتَهْلُ يُوْحَنَّا انْحِيْلَهُ، وَفِي مَا يَتَعَلَّقُ بِاللُّوْجُوسِ، الْكَلِمَةُ الَّتِي تَجَسَّدَ. "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، أَوْ أَنَّهُ نَصَبَ خَيْمَتَهُ، أَوْ نَصَبَ مَسْكَنَهُ، بِحَيْثُ إِنَّ اخْتِبَارَ خَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ بِرُمَّتِهِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ يُشِيرُ بَعِيدًا عَنْ نَفْسِهِ

إِلَى ذَاكَ الَّذِي سَيَأْتِي، وَيُجَسِّدُ كُلَّ مَا تَمَّتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ بِرُمُوزٍ فِي خَيْمَةِ الْجَمَاعَةِ، الَّذِي سَيَكُونُ اللَّهُ مَعَنَا، عَمَّا نُؤَيِّلُ. إِذَا، يَسْتَهْلُ يَسُوعُ هَذَا الْحَدِيثَ عِبْرَ الْقَوْلِ لِلْمُسْتَمِعِينَ إِلَيْهِ "أَنَا هُوَ إِسْرَائِيلُ. أَنَا هُوَ ابْنُ الْآبِ الْحَقِيقِيِّ. لِكَيْ أَنَا هُوَ مَنْ يَأْتِي بِثَمَرٍ، وَلَيْسَ بِعَنْبٍ رَدِيءٍ".

إِذَا، فَلْتَتَابِعْ وَتَرَمَا يَقُولُهُ عَنِ الْأَمْرِ فِي هَذِهِ الْمُحَادَثَةِ. "أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَامُ. كُلُّ عُصْنٍ فِي لَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنْقِيهِ لِأَيِّ ثَمَرٍ أَكْثَرَ". إِنْ تَرَكْتَ كَرْمَةً تَنْمُو وَكَانَتْ خِصْبَةً وَأَخَذَتْ تَنْمُو وَتَنْمُو وَتَنْمُو تَمَّتْ أَعْصَانُهَا بِشَكْلِ كَبِيرٍ جِدًّا، فَإِنَّكَ تُقَلِّلُ مِنْ حَصَادِكَ. لِكَيْ تَحْصُلَ عَلَى الْإِنْتِاجِ الْأَمْثَلِ لِلثَمَرِ فِي الْكَرْمَةِ، مِنْ الْمُهَمِّ جِدًّا تَنْقِيَةُ الْكَرْمَةِ عَلَى نَحْوِ مُنْتَظِمٍ. حَتَّى الْأَعْصَانُ الَّتِي تَحْمِلُ ثَمَرًا، لَا سِيَّمَا الْأَعْصَانُ الَّتِي تَحْمِلُ ثَمَرًا تَحْتَاجُ إِلَى تَنْقِيَةٍ، لِزِيَادَةِ تَدْفِقِ غِذَاءِ الثَّبَاتِ وَبِالتَّالِيِ زِيَادَةِ الْإِنْتِاجِ. لَكِنَّ كُلَّ كَرْمَةٍ، سَيَمُوتُ بَعْضُ أَعْصَانِهَا، فَيَأْتِي الْكَرَامُ وَيَقْطَعُ تِلْكَ الْأَعْصَانَ الْمَيِّتَةَ. وَفِيمَا يَتِمُّ اسْتِعْمَالُهَا؟ تَأْخُذُ قِطْعَ الْحَشَبِ الْمَيِّتَةَ هَذِهِ. لَا تَأْخُذْهَا إِلَى وَرَشَةِ التَّجَارِ وَتُعْطِهَا لِصَانِعِ خَزَائِنِ قَائِلًا: "لِمَ لَا تَصْنَعُ لِي قِطْعَةً أَثَابٍ جَمِيلَةً أَوْ شَيْءٍ آخَرَ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْحَشَبِ؟" فَهُوَ عَدِيمُ الْجُدْوَى وَعَظِيمُ نَافِعٍ. هُوَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِتُوقَدَ نَارًا بِهِ. إِذَا، يَتِمُّ قِطْعُ الْأَعْصَانِ الْمَيِّتَةِ مِنَ الْكَرْمَةِ.

وَمَا نَرَاهُ هُنَا هُوَ أَنَّ يَسُوعَ يُعْطِي مَثَلًا عَنِ الْكَنِيسَةِ. تَذَكَّرُوا أَنَّهُ يَقُولُ إِنَّ الْكَنِيسَةَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ خِرَافٍ وَجِدَائٍ. إِنَّهَا مُؤَلَّفَةٌ مِنْ حِنْطَةٍ وَزَوَانٍ. يُوجَدُ دَائِمًا فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ، مِثْلَمَا كَانَ يُوجَدُ فِي إِسْرَائِيلَ، أَشْخَاصٌ يُعْلِنُونَ إِيمَانَهُمْ ظَاهِرِيًّا. وَهُمْ يَنْصَمُونَ إِلَى جَسَدِ الْمَسِيحِ ظَاهِرِيًّا، لَكِنَّ إِعْلَانَهُمْ لَيْسَ حَقِيقِيًّا. إِنَّهُمْ أَشْبَهُ بِالْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لَا تَنْتَبِي إِلَى الْخِرَافِ. إِنَّهُمْ دُخْلَاءٌ، وَعُزْبَاءٌ فِي جَسَدِ الْمَسِيحِ. وَهُمْ زَوَانٌ يَنْمُو مَعَ الْحِنْطَةِ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى الرَّبِّ الَّذِي يَعْتَنِي بِحَقْلِهِ أَنْ يَأْتِيَ وَيَقْتَلِعَ الزَوَانَ. وَالتَّحْذِيرُ يَكُونُ هُنَا أَيْضًا، وَهُوَ أَنَّهُ نَمَّةٌ أَشْخَاصٌ سَيَنْمُونَ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ فِي الْكَنِيسَةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقِيقِيِّينَ، لَكِنَّهُمْ أَشْخَابٌ مَيِّتَةٌ. إِنَّهُمْ بِلَا ثَمَرٍ. هُمْ يُعْلِنُونَ إِيمَانَهُمْ لَكِنَّهُمْ مِثْلُ الْغُيُومِ الْحَالِيَةِ مِنَ الْمِيَاهِ. لَدَيْهِمْ مَظْهَرُ الثَّمَرِ الْخَارِجِيِّ لَكِنَّهُمْ لَا يَحْمِلُونَ أَيَّ ثَمَرٍ.

إِذَا، نَحْنُ لَا نَصِفُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يَحْمِلُونَ ثَمَرًا، لِأَنَّ لَا وَجُودَ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَحْمِلُ ثَمَرًا، فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ عَلَى الْأَقْل. فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، إِنْ لَمْ تَأْتِ بِثَمَرٍ فَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّكَ لَسْتَ مُؤْمِنًا، وَعَلَى أَنَّكَ عُصْنٌ مَيِّتٌ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْكَرْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ. وَلَنْ يَنْجَحَ الْأَمْرُ، سَوْفَ يَقْطَعُكَ اللَّهُ. وَهَذَا هُوَ التَّحْذِيرُ، تَمَامًا مِثْلَمَا فَعَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. أَخَذَ عُصْنٌ إِسْرَائِيلَ الْمَيِّتَ، وَنَزَعَهُ، وَرَمَاهُ فِي النَّارِ. لَكِنَّهُ يُوجَدُ لَعَبٌ عَلَى الْكَلَامِ هُنَا فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَلَا يُمَكِّنُ تَرْجَمَتُهُ، حَيْثُ يَقُولُ: "إِنَّ كُلَّ عُصْنٍ يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنْقِيهِ لِأَيِّ ثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءٌ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُمْكُمْ بِهِ". نَمَّةٌ كَلِمَةٌ تُعْبَرُ عَنِ الزَّرْعِ وَمِنْ نَمَّةٍ كَلِمَةٌ أُخْرَى تُصَيِّفُ فِكْرَةَ التَّنْقِيَةِ وَالتَّشْدِيدِ، إِنَّهَا "كُوَيْرِي". وَمِنْهَا تَأْتِي كَلِمَةُ "كَانَارِيسِس" أَيَّ تَطْهِيرٍ.

إِذَا يَقُولُ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ "لَقَدْ جُعِلْتُمْ أَنْقِيَاءَ". لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ عَنِ التَّلَامِيذِ الْحَقِيقِيِّينَ، فَهُمْ كَانُوا قَدْ أَصْبَحُوا أَنْقِيَاءَ بِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ. ثُمَّ قَالَ "أَثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ". كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ. إِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ أَغْصَانٌ فَلَنْ تَحْصَلَ عَلَى أَيِّ ثَمَرٍ مِنَ الْكَرْمَةِ. لَكِنَّ إِنْ قَطَعْتَ الْغُصْنَ، وَعَرَزْتَهُ فِي قَدْرِ وَسَقَيْتَهُ كُلَّ يَوْمٍ، فَلَنْ تَحْصَلَ عَلَى أَيِّ عِنَبٍ. لِأَنَّ عَلَى الْغُصَنِ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا بِالْكَرْمَةِ لِكَيْ يَنْمُو الثَّمَرُ وَيَكُونَ نَافِعًا. إِذَا، قَالَ يَسُوعُ "أَنَا الْكَرْمَةُ. عَلَيْكُمْ أَنْ تَثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا أَثْبُتُ فِيكُمْ. عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْقُوا قَرِيبِينَ مِنِّي إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُعْطُوا ثَمَرًا كَثِيرًا كَثِيرًا. سَبَقَ لِي أَنْ نَقَيْتُكُمْ. أَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ، لَكِنَّ دَرَجَةَ إِثْمَارِكُمْ كَثِيرًا مَتَنَاسِبَةٌ تَمَامًا مَعَ مَدَى اقْتِرَابِكُمْ مِنَ الْمَسِيحِ، وَمَدَى تَغْذِيَتِكُمْ مِنْ كَلِمَتِهِ، وَمَدَى حَمِيمِيَّةِ عِلَاقَتِكُمْ بِهِ. إِذْ إِنْ كُنْتَ بِالْكَادِ مُتَّصِلًا، فَسَتَكُونُ بِالْكَادِ مُثْمِرًا".

كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لِأَنَّكُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصَنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ. إِنْ تَبْتُمْ فِيَّ وَتَبَتْ كَلَامِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُوا تَلَامِيذِي.

عَالِيًا مَا أَسْمَعُ بَيْنَ الْمَسِيحِيِّينَ الْبُرُوتِسْتَانِيِّينَ كَلَامَ اسْتِخْفَافٍ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. بِمَا أَنْتَا خُضْنَا مَعْرَكَةَ الْإِصْلَاحِ، وَأَثْبَتْنَا أَنَّ خَلَاصَنَا لَيْسَ مَبْنِيًّا عَلَى أَسَاسِ أَعْمَالِنَا، وَأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَسَاسِ أَعْمَالِ الْمَسِيحِ، وَأَنَّنا مُخْلِصُونَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، يَظُنُّ الْبَعْضُ أَنَّ هَذَا يَعْنِي أَنِّي مَا إِنْ أَصْبَحُ فِي الْمَسِيحِ لَا يَهُمُّ مَا إِذَا كُنْتُ مُثْمِرًا أَوْ غَيْرَ مُثْمِرٍ. إِنْ دَرَسْنَا تَعْلِيمَ يَسُوعَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، فَهُوَ يَدْعُو شَعْبَهُ بِاسْتِمْرَارٍ لِلْإِثْمَارِ، وَلَا يَظْهَرُ إِيمَانِهِمْ مِنْ خِلَالِ أَعْمَالِهِمْ. وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي يَبْقَى قَرِيبًا مِنَ الْمَسِيحِ وَيَتَغَدَّى مِنْهُ وَيَسْمَعُ تَوْبِيخَهُ لَنَا، هُوَ مَنْ يَكُونُ مُثْمِرًا وَيَحْمِلُ ثَمَرَ الْمَلَكُوتِ. فَفِي كَنِيسَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لَا يُرِيدُ اللَّهُ عِنَبًا رَدِيئًا، إِنَّهُ يُرِيدُ ثَمَرًا.

الدُّكْتُور أَرْ. سِي. سَبْرُول هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِير، وَكَانَ أَحَدَ رِعَاةِ كَنِيسَةِ الْقُدِّيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْد بِيُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْإِصْلَاحِ (Chapel Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كَلْمَا لَاهَوْتِيُونَ" و"أَدَهْسَنِي الْأَم".